

Dirassat & Abhath

The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363

ISSN : 1112-9751

تداخل الأجناس في رواية "جلسات الشمس"

لبومدين جلاي

Intersection of races in the novel "Jalasset achams " For DJILALI

BOUMEDIEN

kamla moulai كاملة مولاي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة

University Center Abdelhafeez Boussof-Mila

moulaikamla3000@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019-02-10

تاريخ الاستلام: 2018-11-06

ملخص:

للرواية أهمية كبيرة في الفكر الإنساني المعاصر نظرا لما تحمله في طياتها من موروث ثقافي وفني. وقد شكلت رواية الألفية الثالثة رسالة أنتجتها توجهات الفكر والوعي بالوضع الراهن ومن الروايات التي نتجت في هذه الألفية رواية "جلسات الشمس" للكاتب "بومدين جلاي" وهي رواية غنية بالأنساق الثقافية كما أنها غنية بالأنواع الأدبية وغير الأدبية. تعبر عن حقائق تاريخية روحها التعقيد الذي لازم أحداثها وهو جزء من تركيبها الفنية وشكلها السردي عموما يحتوي على العديد من التقنيات التي تساهم في بنائها وتطور التصور العام لها.

الكلمات المفتاحية: رواية؛ جنس؛ أسطورة؛ مثل؛ رسم؛ موسيقى.

Abstract :

The novel has a great importance in modern human thought because of its cultural and artistic heritage. The third millennium novel was a message produced by the orientations of thought and awareness of the current situation and the novels that resulted in this millennium the novel "Jalasset achams" by "Boumediene Djilali" It is also rich in literary and non-literary genres. Historical facts reflect the complexity of its complexities, which are part of its artistic structure and its narrative form in general contains many techniques that contribute to its construction and the development of its public perception.

Keywords: novel; overlap; sex; music; legend; draw

مقدمة:

بدار الحمراء للنشر والتوزيع بسيدي بلعباس بالجزائر. تتكون من 117 صفحة و25 مشهدا كل مشهد يعبر عن أحداث وقعت للبطل أثناء رحلته الاستكشافية، حيث ينتقل كل مرة من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان باحثا عن الحقيقة المدفونة، والحقيقة الظاهرة التي لا يريد البعض أن تعرف لأنها لو عرفت لغير الكثير مما يجري في العالم، إنها حقيقة ظاهرة ولكن مسكوت عنها بسبب الخوف والجهل وكذلك الضعف سكتوا وبقوا نياما هكذا يريد البعض أن تبقى الأمور كما هي

تعد الرواية من أكثر الأنواع انفتاحا على مختلف الأنواع الأدبية الأخرى، نتيجة لمرونتها فهي أرض خصبة تنبت فيها مختلف الأنواع الأدبية، وتتعايش مع بعضها البعض، و تأخذ من بعضها البعض. وهناك روايات كثيرة إن لم نقل معظمها. في الوقت الحالي تحتضن أكثر من نوع أدبي، وتمثل رواية "جلسات الشمس" واحدة من بين هذه الروايات الجديدة. صدرت عام 2012، ألفها الدكتور والكاتب الباحث "جلالي بومدين" طبعت

والتساؤل الباعث على البحث عن الإجابة الحاسمة المهذئة من روع المحترار، حتى يفرج روعه"⁴

إذن الأسطورة هي حكاية خيالية، تكون كإجابة على تساؤلات طرحها الإنسان البدائي ومحاولة لتفسير ما يدور من حوله. وهذا الشكل الفني اهتم به العديد الرواد العرب عامة والجزائريون خاصة، أمثال واسيني الأعرج والطاهر وطار و زهور ونيسي وغيرهم، ووظفوه في رواياتهم الجديدة.

فقد حاولت الرواية الجديدة أن تتخلى عن بعض خصائصها التقليدية وتكتسب خصائص جديدة، وذلك عبر تحولات كثيرة، فمصطلح الرواية الجديدة " ارتبط بجملة التحولات التي حدثت عالميا منذ ما يزيد على نصف قرن، وعربيا منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما."⁵ وكانت من بين هذه الخصائص الجديدة التي اكتسبتها الرواية توظيف الأسطورة، يقول خيرى الذهبي: " وقد شكل توظيف الأسطورة أحد جوانب هذا التجديد، وقد سبقت هذه الرواية في توظيف الأسطورة أجناسا أدبية أخرى كشفت أنها الأجدر بالإفادة منها."⁶

يقول محمد صالح الشنطي في تداخل الرواية مع الأسطورة: " إن السمة السردية للأسطورة تمنحها صفة نوعية وكان من أبرز سمات التحديث في الرواية، كما أنها في الشعر التزوح إلى الأسطورة والحكاية الشعبية والأسطورة والخرافة والتاريخ والملحمة"⁷

فهو يوافق خيرى الذهبي في أن تحولات الرواية الجديدة هي التي جعلتها تحتضن الأسطورة وتتداخل معها، ثم يحاول (محمد صالح الشنطي) أن يفرق بين توظيف الأسطورة في الرواية، وتداخل الأسطورة مع الرواية ، فيقول: "عملية التداخل هنا تأخذ منحى مختلف عن

لأنها تخدمهم وفي صالحهم لا يريدون شمسا ولا قمرا يضيء هذا الكون التعيس بهذه الحقيقة القاتلة. هذه الرواية تتداخل فيها مختلف الأنواع الأدبية، وغير الأدبية.

أ-الأنواع الأدبية:

• الأسطورة:

تعتبر الأسطورة من الأنواع الأدبية القديمة التي لجأ إليها الإنسان البدائي لتفسير ما يدور من حوله من ظاهر طبيعية وكونية. ولفظة " أسطورة" ذكرت في القرآن الكريم، في قوله تبارك تعالى: " :و إذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين"¹ ، أي مما سطرخوا من أعاجيب الأحاديث وكنهها .

والأسطورة "هي وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضيء على تجربته طابعا فكريا، وأن يخلع على حقائق الحياة معنى فلسفيا، وبدون هذه الصور الأسطورية تكون التجربة مهمشة، كما أنها تقتصر على أنها مجرد ظاهرة، ولا تكون للأسطورة قيمة إلا إذا كانت مكتملة، كما أنها لا تكون لأجزائها أهمية إلا بمقدار ما تفصح عن الفكرة الرئيسة"².

وهي بهذا المفهوم تعني إضفاء الخيال على تجارب الحياة اليومية، ويعرفها راجح العويبي بأنها "حكاية تعمد إليها المخيلة الشعبية البدائية إخراجا للدوافع داخلية في شكل موضوعي، ترتاح إليه المخيلة وتهدأ عنه"³ ، ثم يضيف " وهذا استجابة للنوازع الداخلية رغبة في التعرف على الحقيقة محاولة لفهم الظواهر المتعددة الغريبة التي تثير التأمل، الذي ينجم عنه العجب

وحرة ليلي التي قيل أيضا أنها تتواجد ببلاد ذيبان، وكانت تسمى أيضا نار الحرتين، وقد عبدها بعض العرب المجوس واعتقدوا بألوهيتها، وحسب الروايات المختلفة أن خالد بن سنان العبسي عزم على إطفائها، وانتشرت في هذا الصدد الخرافات وتناطحت كثيرا وبين بطون الكتب الصفراء ومراجع الشعوذة والسحر¹⁰...

• أسطورة سعيد وحيزية:

هي أسطورة حب وقعت بين (حيزية، وسعيد)، ويقال بأنها حقيقية، هي قصة حب جزائرية بدوية صحراوية، حدثت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في بلدة (سيدي خالد)، التابعة لولاية بسكرة، بوابة الصحراء الكبرى، عروس منطقة الزيبان في جنوب شرق الجزائر. وهي تشبه قصص العذريين في التراث العربي القديم، أو قصة روميو وجوليت، وغيرها. وبما أن لقصة (حيزية)، نواة تاريخية واقعية حقيقية، إلا أن الرواة سردوها بأساليب مختلفة، مما جعل القصة تتأرجح بين حدّين: حدّ الواقع، وحدّ الأسطورة. وبقيت هذه السرديات، مجرد احتمالات وتوقعات ورغبات¹¹.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الحكاية رمز للعشق الممنوع، وحولت إلى أغنية يعرف كاتبها. وتوجد أسطورة سعيد وحيزية في هذه الرواية في قول الرواة: "قالوا: لما ولدت حيزيا كانت تعشق سعيدا.. ولما ماتت كانت تعشق حيزيا.. وبين الموت والميلاد لم تكن تعشق إلا سعيدا.. ظلت تنسج برنوسا يتعانق فيه الحرير بالصوف وتغني مرثية ابن قيطون زهي تبتسم في حياء مما سيقوله لاحقا.."¹².

القصة تقول بأن (حيزية، وابن عمها سعيد) تحابا، إلى درجة العشق، ثم تزوجها بعد قصة حب، لكن الموت

التوظيف، حيث تتحول إلى أسطورة أو حلم تستثمر لتساعد في تشكيل الرؤية أو الموقف.⁸

إن تداخل الأسطورة مع الرواية لا يعني أن يذكر الروائي الأسطورة فقط، بل يجب أن تعبر هذه الأسطورة على رؤية المجتمع وتصوره.

• أسطورة سيدي خالد:

زيارة الأضرحة و التبرك بما يسمى الوالي و قيام الزردات و ذبح الأضاحي، ظاهرة متفشية في كل مناطق الجزائر، ومن بينها ضريح خالد بن سنان العبسي، متواجد بمدينة سيدي خالد ولاية بسكرة "الشرق الجزائري"، وهو موجود وراء وادي جدي، خارج مدينة سميت على اسمه وهي سيدي خالد، بعض الناس في الجزائر اتخذوا من هذا المكان مكانا مباركا يتوافدون عليه، وقد ذكر هذا المكان في راية جلسات الشمس "...وفي ليلها الساهر زارت ضريح سيدي خالد وتوسلت كي تتحول ناقتها نعتجتها وسلوقيتها وفرسها إلى فتيات مثلها..."⁹ سيدي خالد هو أحد الرجال الصالحين حسب اعتقادات أهل مدينة بسكرة، يطلبون منه البركة والخير كل جمعة وفي أيام دينية أخرى، والسارد ذكره لاعتقاده أن حيزيا ستجد ضالها عنده وستنسى حبيبها سعيد، كما يعتقد البعض أن خالد بن سنان العبسي من الأنبياء، يرددون أثرا ينسب للرسول (ص) قوله عنه: "انه نبي ضيعه قومه"، وقد نجد هذا الأثر في غريب الحديث لابن الأثير، وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية والهيثي في مجمع الزوائد، وخالد بن سنان بن غيث بن قريظة بن مخزوم العبسي قد عاش قبل الإسلام، ويروى أنه أطفأ نار الحدثنان، وهذه النار كانت تخرج من حرة النار التي قيل أنها تتواجد ببلاد عبس،

بحب الحب ، إلى أن وجد الحب الحقيقي في جوليت ... في الليلة نفسها ، وبعد أن ينتهي الحفل ، يذهب روميو إلى حديقة جوليت و يقف أسفل مخدعها ، و يتفقا على الزواج في اليوم التالي سرا. يذهبان إلى القس الذي يزوجهما معتقدنمنه أن زواجهما سيساعد على تصالح العائلتين. و لكن نعلم بعد ذلك أن هناك سيدا من قرابة أمير فيرونا خطب جوليت التي تفاجأت و صدمت بالخبر..كيف لا و هي متزوجة الآن. تذهب جوليت إلى القس لتخبره بذلك ، فيقرر القس أن يساعدهما. بعد ذلك نشاهد تيبالت وهو يبحث عن روميو ليتقاتل معه فيجد صديقه . ثم يأتي روميو وتيبالت ليطلب منه التزال..و لكن روميو يرفض لأنه أصبح نسيبا له رغم أنه لا يعلم بشأن الزواج سوى أربعة أشخاص..روميو وجوليت و القس و وصيفة جوليت. يغتاض حينها مركوشيو من ردة فعل روميو التي اعتبرها خوفاً وجبنا فيقرر بعد ذلك منازلة تيبالت..و يموت مركوشيو.هرب تيبالت من مسرح القتال تاركا روميو غاضباً و يقسم على الثأر لصديقه مركوشيو. و تمضي أحداث القصة و يقرر والد جوليت الإعلان عن تقديم زفافها من "باريس" يوما واحدا. فتسرع جوليت لطلب المساعدة من القس الذي يطمنها بخطته والتي يقرر فيها ان يرسل رسولا إلى مدينة مانتوا ليبلغ روميو بالخطة ..و يعطي القس جوليت دواء يجعلها تبدو كالميتة لمدة يومين تأخذه لفي يوم زفافها.و لكن للأسف، لا يصل الرسول إلى روميو فقد كان هناك وباءً في مدينة قريبة من مدينة مانتوا. ويأتيه خادمه بخبر وفاة جوليت ..الذي لا يعلم بالخطة. عندها يجن جنون روميو و يذهب إلى صيدلي فقير في المدينة ليشتري منه سما و يعطيه مبلغا كبيرا مقابل السم. يذهب بعد ذلك روميو إلى مقابر عائلة كابوليت ليحدها

فرّق بينهما، حيث مرضت حيزّة مرضاً خطيراً، توفيت بعده مباشرة، وذهب العاشق (سعيد) بعد وفاتها إلى الشاعر الشعبي محمد بن قيطون، وطلب منه أن يرثي (حيزية)، لكي يريح نفسه من الهموم، فكتب محمد بن قيطون قصيدة حيزّة باللهجة الجزائرية، سارداً فيها مأساة حيزية وسعيد، فاشتهرت القصة في البادية الجزائرية. وفي رواية أخرى أن حيزية لم تتزوج سعيد، لأن عمه، والدها، منع هذا الحب الصامت، وأنها ماتت قهراً على حبيبها. وتاه العاشق في الصحراء حيث هام على وجهه منعزلاً عن الناس. ويقول الشاعر محمد بن قيطون في نفس النص بأنه كتب القصيدة (1878م)، عام وفاة حيزية. وهكذا حفظ لنا (ابن قيطون) هذه القصة من الضياع من خلال قصيدته (عزوني يا ملاح ... في راييس لبينات ... سكنت تحت اللحد ... ناري مقديا)¹³.

• أسطورة روميو وجوليت:

تدور أحداث قصة روميو وجوليت حول صراع بين عائلتين إيطاليتين من أرقى عائلات مدينة فيرونا الإيطالية، وهما عائلة "كابوليت" وعائلة "منتيجيو" وهذا الصراع موجود منذ الأزل رغم عدم معرفة سببه خلال هذا الصراع الأزلي، يخرج من العائلتين شخصين عاشقين هما: روميو من مونتيجيو و جوليت من كابوليت. تبدأ القصة بالعاشق روميو لامرأة اسمها "روزالين" يظهر لنا روميو من خلالها عاشقا تعيسا و كئيبا..يلهب القصة بأشعاره الرومانسية. يقابل روميو في تلك الحفلة جوليت ، والتي هي فتاة رائعة وجميلة ، فيقع روميو في حبها على الفور. لم يكن روميو واقعاً بحب روزالين ، وإنما كان واقعاً

بخلعه وجعلها خالصة لهارون الرشيد. استجاب المهدي لطلبها وطلب منه التنازل عن ولاية العهد..فرفض الهادي وطرده الرسول وقال له (قل لأبي لو كنت أعلم أن ذلك من أمرك لامتلكت ولكني لا امتثل لأوامر النساء والجهلاء من الوزراء) وعندما تولى ابنها موسى الهادي الخلافة، استمرت الخيزران تتدخل في أمور القصر والدولة، وتسلك في الاستبداد بالأمر والنهي، وتلتقي كبار القادة في قصرها وتتدخل في تعيين كبار الضباط والولاة والحكام؛ حتى مضى على ذلك أربعة أشهر من خلافته، فبدأ الناس يتوافدون عليها، وطمعوا فيها فكانت المواقب تزدهم إلى بائها¹⁷.

شعر الهادي بأنه مهدد بطموحات والدته؛ فحاول قتلها! إذ يقول (الطبري) في تاريخه الكبير: حاول الهادي قتل والدته حين أرسل إليها أطعمة في طبق؛ لكن (الخيزران) عملت على أن يتذوق كلب من هذا الطبق أولاً وقد سقط الكلب ميتاً على الفور، فأعلنت الخيزران الحرب على ولدها. اتفقت الخيزران مع البرامكة على التخلص من ابنها فاستأجروا له من يقتله عندما يستقبل المواطنين بعد صلاة الجمعة ولكن فشلت المؤامرة. وللمرة الثانية اتفقت الخيزران مع البرامكة وزوجة ابنها على إرسال جواربها الحسان والتسلل إلى مخدع ابنها الخليفة حيث ينام وخنقه تحت الوسائد؛ حتى أوشكت أنفاسه إلى نهايته¹⁸. وفي هذا الشأن جاء في الرواية"قالوا: كانت الخيزران تعشق المهدي عشقا بلقيسيا، ولما ذاب في حريمه الذي يتضمن تسعا وتسعين جارية وواحدة أخرى، خانت مع جد القرامطة، ومفكر الزنوج الدين أحرقوا البصرة بنحوها وفقها، وأعنف وزير من البرامكة..."¹⁹ وعندما سمعت الخيزران باقتراب نهاية ولدها

ممددة في تابوتها، فينظر إليها وقد ازدادت جمالا وان لون وجهها لا يزال محمرا وليس ابيضا ولكنه لا يعلم أن هذا بسبب أنها ستستيقظ بعد فترة وجيزة... ثم يقبل روميو جوليت و يجرع قارورة السم الصغير ليموت ساقطاً بين يديها. وتستيقظ جوليت من نومها لتجد أن روميو قد مات بجوارها وبدون تفكير تأخذ خنجره وتغرسه في قلبها وتموت هي أيضا. وقد وردت هذه الأسطورة في المشهد الرابع من الرواية "لما تحركت الشمس وتحركت، خرجت جوليت من فيرون بخطى سريعة جدا"¹⁴ وجاء فيها أيضا "لعل روميو ترك لي شيئا من عشقياته"¹⁵

تعددت الأساطير في هذه الرواية، أسطورة تتحدث عن الأولياء، وأسطورة تتحدث عن الحب والخيانة، والطمع، وكل هذه الأساطير وظفها بومدين جلالي لنقد العادات والتقاليد السيئة كزيارة الأولياء والتبرك بهم في الوطن العربي.

• أسطورة الخيزران والمهدي:

هي زوجة الخليفة المهدي العباسي ثالث الخلفاء العباسيين، حكم من 158-1699هـ، وهي نموذج لشخصية المرأة القوية المتسلطة التي لم تكتف بالدور التقليدي للنساء في عصرها، بل سعت إلى ممارسة السلطة والحكم، استنادا لكونها الزوجة الأثيرة للخليفة العباسي المهدي بن جعفر المنصور، وأم الخليفة الهادي. لكن، لهذه الرغبة الجامحة بالتسلط والتحكم كانت نهايتها مأساوية عليها وعلى محيطها الأسري¹⁶. وأصبحت أما لولديه موسى الهادي وهارون الرشيد، وعندما أصبح ابنها موسى الهادي وليا للعهد على غير رغبتها اتفق معها البرامكة أن تقنع زوجها الخليفة

هن السلطة الفعلية في كل قبائلهم وأحزابهم...²² أما الزعماء من العرب فمصيرهم الخيبة والموت، والانقلابات، وهذا ما تشهده الساحة السياسية في الوطن العربي. "وأصبح الزعماء لا يذهبون إلا بالموت أو الانقلاب أو الخيانة..."²³

الراوي يتذكر كيف كانت المرأة وماذا كانت تفعل، والرجل كذلك، "كانت المرأة تمارس الفلاحة والشعر وكان الرجل يمارس التجارة والنثر..."²⁴ لكن الأمر لم يبق كما كان، بل تغيرت المواقع والنيات، "ولما تغيرت المواقع تغيرت الأحوال وأصبحت الخيانة من ثوابتهما يمارسها نية أو فعلا ويموهاها بكثير من القيم الناصبة التي تصلح لتزيين الكتب والكذب على النفس ومخاطبة رياح الخريف..."²⁵

2. المثل:

المثل فن قديم، يصاغ انطلاقاً من تجارب عميقة يحمل تراث أجيال متلاحقة، يتناقلها الناس شفويًا أو كتابيًا.

ولفظة "مثل" ذكرت في القرآن الكريم في آيات عدة منها قوله عز وجل: "ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم"²⁶

والمثل (proverbe): هو "جملة وحيدة ذات مفهوم عميق، تدل على نتيجة إثر تجربة واقعية"²⁷ وهو: "إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه."²⁸

فالمثل جملة قصيرة تحمل معنى كبير، ويعود المثل الشعبي إلى "الشخصية المفردة، وذلك في مختلف طبقات الشعب، ومن أي مجال في الحياة ثم ينتشرون الاهتمام بقائله، وهذا الانتشار يدل على أن المثل قد مس حس المستمعين له، وبالتالي يصير ملكاً لهم

الهادي قالت في بادئ الأمر: ما أفعل؟ فطلبت منها خادمتها أن تذهب إليه، وتنسى كل الحقد والغضب، فدخلت الخيزران على ابنها فقال لها: سامحيني يا أماه فقد كنت لك ناصحاً ولم أكن عاقاً وقد كرهت أن يتكلم الناس بأنك تخالطين رجالي فتذهب هيبتي..وتم أسند رأسه إلى صدرها..ثم أسلم الروح.²⁰

ومع أن الخيزران اشتركت في المؤامرة رغبة في الحكم..إلا أنها لم تتحمل منظر ابنها وأحب الناس لقلبيها يموت بين ذراعها. فصرخت وبكت وشقت ثوبها..وقالت: لا عشت بعدك يا أمير المؤمنين. ثم قامت وهمت للوضوء وصلت عليه. وبعد هذه الحادثة ذهبت للحج...وتولى ابنها الثاني (هارون الرشيد) الخلافة. وفي هذا الصدد جاء في الرواية "ولما مات الخليفة المهدي غيرة وغما، فرحت كثيراً بالمهدي، إلا أنه لم يلبث أن فعل ما فعله أبوه من قبل، فقتلته ونصبت الرشيد أميراً للمؤمنين والفاسقين والكافرين..."²¹

الراوي كان على يقين أن هذه القصص تأخذ مفعولها في التأثير على القراء، لأن الناس تهتم كثيراً بقصص الحب والعشق والنهاية المأساوية، فراح يسرد القصة تلو الأخرى وهي قصص أخذت منحى عالي عبر التاريخ فمن منا لا يعرف قصة روميو وجوليت وهي قصة اشتهرت بين عامة الناس، فأصبحت تضرب مثلاً لكل عاشقين، وهي رمز للوفاء والحب الصادق رغم صراع عائلتهما ومحاولة التفريق بينهما، أما قصة سعيد وحيزية هي قصة الحب العذري مات وهو مازال بذرة لم تنم. هذه القصص مؤثرة عربية وأجنبية جمعها الراوي ليبين لنا أن الحب النقي، الذي لا تشوبه شائبة اختفى. حل محله الغدر والخيانة. وقصة الخيزران والمهدي جاء بها ليبين لنا كيد النساء، وكيف أصبحت نساء العرب هن السلطة الفعلية، "أصبحت نساء الزعماء العرب

مختلف جوانب الحياة اليومية في الوطن العربي، ومن الأمثال التي وردت في روايته:

• "تقع الفأس في الرأس"

ويقال هذا المثل بعدما وقع الفأس في الرأس بعد أن وقعت المصيبة أو ما يخشى حصوله، يقال عند التحذير قبل وقوع الحدث، فيقال: اعمل كذا قبل أن تقع الفأس في الرأس.

وقد وظف السارد هذا المثل لاستدراك الأمر قبل وقوعه، وذلك من خلال السرد الذي تقدمت به الشمس، وهي تشرح للبطل بأن التاريخ مزور مكرور، إنه قناع للظلم والجور، لا يجب احترامه، السارد على لسان الشمس يدعو إلى التجديد للارتقاء، "فمن جدد ارتقى إلى الشمس، ومن قلد تصبه الفأس في الرأس".³³

• "روى خنفشار"

يكثر الآن استخدام مفردة خنفشاري، وهي صفة لأي شي لا معنى له أو لشخص مدعي حيث أن الكلمة ليس لها معنى أساسا وتطلق على الشخص الذي يدعي معرفة كل شيء. ويتداول نقاد الأدب

فيما بينهم كلمة خنفشار ويطلقونها على من يدعي الفهم والعلم وهو لا يملك منهما شيئا. للتمثيل من الرواية "روى خنفشار بن أم خنفشار أن الحجر داء والسفر دواء.. أو ربما قال العكس تماما.. لا، لا.."³⁴

الروائي ذكر هذا في سياق كلام البطل ليبين أن هناك من يدعي المعرفة والكلمة قديمة العهد، مستحدثة القول توجه في هذا الوقت لأن المدعين كثروا فأصبح الكل يفتي في مسائل الحياة حتى اختلط علينا الأمر

جميعا".²⁹ فالمثل من الصعب معرفة قائله الأول ولهذا يستعمل وكأنه ملك للجميع، فمتى أحس الإنسان بأن هناك حالة تستدعي حضور مثلا معين، فإنه يأتي بهذا المثل ويستشهد به دون الحاجة لذكر قائله أو معرفته أصلا.

وهذا الاستشهاد والتناول المستمر للمثل يكسبه انتشارا كبيرا "وبذلك يكتب له العيش مع الأجيال التي تحتاج إلى الاستشهاد به، بحسب ملائمة مغزاه للزمن والظروف الشبيهة بالحال التي قبل فيها".³⁰

وقد عنيت العرب بالمثل منذ القديم إذ أنه من سبل التعبير "لفهم مقتضيات الحياة، ذلك أن هذه الأمثال كانت تتعرض لمختلف الحاجات والرغبات والميول والطبائع والعلاقات والحكمة والدين والمصير وغيرها من الأمثال".³¹ فالأمثال تمس كل جوانب الحياة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية ..، وهذا فهي تعد من أكثر الأنواع استعمالا في الحياة اليومية.

تقول كريمة حجازي عن استعمال الأمثال في المجتمع الجزائري "نستعملها في مجتمعنا الجزائري استعمالا متواصلا في كل موقف، وأن الناس يستعملونه مرغمين على النطق به لأخذ العبرة منه والإقتداء بما جاء فيه وحاجة الناس إليه أشد من حاجتهم إلى سواها".³²

إذن المثل من أكثر الأنواع الأدبية تناولا للتعبير عن مختلف مجالات الحياة اليومية، وظف الأدباء هذا النوع الأبوي الأدبي في كتاباتهم للتعبير عن صورة المجتمع، ومن بين الذين وظفوا هذا الشكل الأدبي بومدين جلاي في روايته "جلسات الشمس"، هذه الرواية التي زخرت بكم هائل من الأمثال التي تعكس

عن الماء والكلاب، ممتطيا حصانه يجوب الصحراء يكتشف ويتعلم أسرار الحياة من خلال سفره الدائم. الإنسان بطبيعته يتنقل ويسافر لأنه يدرك أن السفر يجعله دائما في حركة والحركة بركة بعيدا عن الخمول، أما الذي يقبع في مكانه فأكيد هو إنسان خامل ساكن، أما بشأن فضل الحركة في حياة البشر، فقد أورد الكاتب مثلا متداولاً بين عامة الناس إذ يقول: "روى خنفسار بن أم خنفسار أن الحجر داء والسفر دواء"³⁶ من هذا المثل يتبين أن السكون والركود يعني المرض والهلاك، أما التنقل والحركة يعني النشاط والصحة.

3. الخاطرة:

الخطرة: هي تعبير عما يتحرك في القلب من رأي أو معنى عند مشاهدة أمر مألوف ممثلاً لرأي الكاتب أو إحساسه بهذا الأمر المألوف.³⁷ وللخطرة عناصر هي: "أ. الإيجاز.

ب. الموقف المألوف.

ج. الفكرة الدالة."³⁸

والفكرة الدالة: "هي الفكرة اللافتة التي يخرج بها الكاتب عند مشاهدة أمر مألوف فيلفت نظر القاريء إليها."³⁹ وقد كتب في هذا النوع الأدبي الكثير من الكتاب العرب أهمهم: أحمد أمين في كتابه المشهور "فيض الخاطر".

حفلت رواية "جلسات الشمس" بالخواطر وامتدت من بداية الرواية إلى نهايتها، فمثلاً حين تحدث بومدين

فصرنا لا نفرق بين العالم والجاهل. وهذا المثل منتشر بكثرة في المجتمعات العربية، خاصة في الفترة الأخيرة.

• "السكوت أبلغ من الكلام"

مما لا شك فيه أن لكل إنسان طريقته وأسلوبه في التعامل مع الناس وبالتحديد في مواجهة المواقف السلبية التي يمر بها. ويصطدم من خلالها بالآخرين..

ويصدم بما ينتج منهم ولكل شخص أسلوب في مواجهة النقد أو التهمك أو الإساءة من الغير فمنهم من يواجهها بانفعال مقنن وبانفعال شديد، ومنهم من يواجهها برعونة وتهور ويندم عليها بالنهاية..

ومنهم من يواجهها بصمت. وقد يكون هذا الصمت نابعا من حكمة وحكمة وبعد في الرؤية ومن عقل ناضج ومن شخص فاهم، وقد يكون ناتجا عن جبن واستسلام وشهور بالخوف، أو لغاية في نفس صاحبة. وقد ورد هذا المثل في الرواية على لسان الطيف في المشهد 18: "أه يا زمي... من السكوت جاءت السكتات القلبية.. كذب الذي قال "السكوت أبلغ من الكلام".. كل شيء يتكلم وكل شيء يسكت..."³⁵ ولكن هل التزام الصمت هو الوسيلة الصحيحة لمواجهة كل المواقف؟ وهل هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع مختلف نوعيات البشر؟ الصمت ليس الوسيلة الصحيحة للمواجهة لكل الناس ولكنها الأفضل فهناك الحكماء وهناك الحمقى وهناك السفهاء وهناك المحنكون..... فلا بد أن تتحلى كل شخصية بموقف.

• "الحجر داء والسفر دواء"

عرف الإنسان منذ القدم الرحلة والترحال من مكان إلى مكان، فكان يتنقل في الصحراء بحثا

تاريخ العالم، رمز لكل الوطن، وما يحمله كل ذلك وغيره، من زخم تراثي، وموروث شعبي، وظفته الكاتبة بإبداع.

هذه الرواية التي حملت في أحشائها مختلف الأنواع الأدبية، التي تعايشت مع بعضها البعض وكأنها كتلة واحدة منسجمة، لا تشعر البتة وأنت تقرأ هذه الرواية نوعاً من الفوضى أو الاختلاط، فالروائي يرحل بك بين عالم الأسطورة والأمثال والخاطرة والرحلة بطريقة جد منسجمة وممتعة.

ب- الأنواع غير الأدبية:

• الموسيقى:

فن الموسيقى من أسمى الفنون الجميلة حيث إنه يتميز بطبيعة خاصة لا نجدها عند غيره من الفنون، فهو فن الجمال السمعي الذي يستطيع أن يستوعبه الإنسان في جميع بقاع الأرض هذا التوازن يؤدي بدوره لمنع طغيان المال وتحكمه بالعقول. ويتم هذا التوازن حين ندعم مجالاً للتفكير في الروح والجمال والحب والإنسانية وغيرها عبر قراءة الأدب والموسيقى وتأمل الأبحاث الفنية، وتتوقف عن التفكير للحظات في المال وتحصيله الطعام والجنس والثروة والغنى وغيره من ماديات. فن الموسيقى الذي اعتبره هيجل فناً ذا طبيعة خاصة، تجعله ابعده الفنون عن قبول التعريفات والأوصاف ذات الطابع العام. فهو يرى أن المضمون الروحي لهذا الفن ترديد للذاتية، وأن الموسيقى فن يثير فينا أنواعاً لا حصر لها من المشاعر والحالات

جلالي في رفقته للشمس، كانت لغته بسيطة لكنها موحية معبرة تشبه لغة الشعر إلى حد كبير.

ففي جزء من الرواية في الفصل 14، إذ يقول: "رافقتك وأنت في رحم الفضاء إشعاعات متناثرة..رافقتك وأنت تولدين ذات شتاء حزين اللون..رافقتك وأنت كوكب ذري يلتهم سمر الليل ويتلاعب بالسحاب في غفوة حرسه القديم والحديث..رافقتك والعشاق والشعراء والتائهون والمخبولون يفرون منك إليك في دوران سرمدى كان ومازال..."⁴⁰ الروائي يسهب الحديث في حديثه مع الشمس يذكرها تارة ويعاتبها تارة، في لازمة تكررت كثيراً وهي "رافقتك". كما يقول: "رافقتك لما احمر البحر واحمر وجهك واحمرت عيناك وكتبت بالأحمر ما أكتب منذ أن اخترعت أبجديتي الحمراء وأنا في ساحة الوغى أقتل وأقتل..رافقتك لما حملت فأسي وحفرت قبوري وقبور الذين قتلهم دون أن أدري لماذا قتلهم..رافقتك لما صاحبتك فقلت "أخطأت"، وخاصمتك فقلت "أخطأت"، وانتحرت فقلت "أخطأت"، وانبعثت فقلت "أخطأت"..."⁴¹

لما كان الكاتب يتحدث في هذه الرواية بشوق وحنين عما كان بينه وبين الشمس من رفقة طويلة صاخبة، حزينة ومفرحة مليئة بالتناقضات، هذا الشوق الكبير القوي الفياض المتدفق، كان لابد له من لغة شعرية موحية معبرة عما يخالجه، وتمثلت هذه اللغة الشعرية في الخاطرة التي زادت من جمالية الرواية.

رواية "جلسات الشمس" رحلة للتعرف على مدن الرواة الكاتب رسم العالم في خريطة صغيرة اكشفنا من خلالها ماهو غائب عنا حاضر أمامنا، رحلة إلى أغوار

الفنون التي يستطيع أن تجعل الإنسان ينطق من عالم الواقع إلى عالم الحس والخيال، فيتخلص من أحزانه وآلامه التي تسيطر عليه، وكذلك تشكل السلوك الإنساني وتطهر النفس الإنسانية وتهذب الخلق وترقي الذوق. كما يقول: "وكان ربي يرافق الشيخ فيتاليس وهما يعزفان بعض البقايا من موسيقى الموشحات والتروبادور.."⁴⁴

• النشيد الوطني:

قسماً هو النشيد الوطني الجزائري. بدأ استعماله عام 1963 أي بعد استقلال الجزائر من فرنسا. في أثناء الاستعمار رأى عبان رمضان أن من الضروري كتابة نشيد خاص للجزائر فتشاور مع مفدي زكريا، ووافق هذا الأخير على كتابة الكلمات فتمت يوم: 25 أفريل 1956. طالبت فرنسا بحذف مقطع يا فرنسا، لكن المجاهدين الجزائريين رفضوا لأنها لم تعترف بجرائمها المرتكبة في الجزائر وهو لا يزال مقطعا من النشيد الوطني الرسمي.⁴⁵

الكاتب بومدين جلاي جزائري يعيشق وطنه ويغار عليها، كما أنه يعترف بكل ما يميز انتماءه الإسلام والعروبة والنشيد والعلم، لذا نراه يخصص فصلا كاملا للحديث عن شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا. "هذه مدينة مفدي زكريا.. زهي من المدن القلائل التي تجتمع بل تتعايش، بل تتمازج فيها كل المتضادات، وتتصارع بل تتناقض فيها كل المتجانسات، ومع هذا فجمالها تهدأ به الأغوال وتتجمل به البطالات والأبطال.. لونها الرملي يحيلك على تاريخ الأرض وصومعتها الفريدة تحيلك على تفرد صاحبها الذي أضاف "قسما" بالملاحقات والطاهرات والخافقات والشاهقات، فارتقى قسمه إلى الشمس.."⁴⁶

النفسية، وأن فن الموسيقى من أسمى الفنون الجميلة حيث انه يتميز بطبيعة خاصة لا نجدها عند غيره من الفنون، فهو فن الجمال السمعي الذي يستطيع ان يستوعبه الإنسان في جميع بقاع الأرض بالرغم من اختلاف اللغات والعادات والتقاليد التي توجد بين الدول.⁴²

ربط أفلاطون بين فن الموسيقى وعلم الأخلاق، واعتبر الموسيقى وسيلة من وسائل دعم الفضيلة والأخلاق حيث اعتبر البدن تابعاً للروح، والروح أقوى تأثيراً على البدن، فالأساس هو إخضاع الحس للعقل؛ لأن الموسيقى تعبير مباشر عن عالم الحس، كما أنها لا بد أن يكون لها دور ايجابي في تربية النشء وبناء شخصيته وتقويم خلقه، مضيئاً إن أفلاطون نادى بتعليم الموسيقى منذ الصغر بداية من سن الطفولة.

ورواية جلسات الشمس توفر فيها من الموسيقى العالمية وهذا ينم عن الأحاسيس المرهفة لدى الكاتب واطلاعه الواسع على أعمال الموسيقيين البارزين في العالم. كما يعتبر فن الموسيقى من الفنون التي يستطيع أن تجعل الإنسان ينطق من عالم الواقع إلى عالم الحس والخيال، فيتخلص من أحزانه وآلامه التي تسيطر عليه، وكذلك تشكل السلوك الإنساني وتطهر النفس الإنسانية وتهذب الخلق وترقي الذوق. "وما إن شاع هذا البيان حتى غنت "إيديت بياف" "أوقفوا الموسيقى" بصوت فيه بكاء السنين.. وبالمناسبة ذاتها كتب ابن الخطيب.. "جادك الغيث..." ووضع ليوناردو ديفانثي الرسم البياني لنحت حصانه، ولحن موزارت سيمفونية أبهر بها نجم السهيل وأوركسترات فيينا.."⁴³ كما يعتبر فن الموسيقى من

شفتيه....-لعل الموناليزا الباسمة الساحرة الساحرة لم تكن إلا أنا في أكبر لوحة بنادي التجار..⁴⁹ كما أنه أورد اسم الرسام العالمي ليوناردو ديفانثي في مواضع أخرى من الرواية وهذا يدل على اهتمامه بالفنون لأنها الأحاسيس والمشاعر.

خاتمة:

تعد قضية تداخل الأنواع الأدبية وغير الأدبية من القضايا الحديثة التي ظهرت في الأدب، عرفت نزوحاً كبيراً للمبدعين نحوها، إذ أنهم استطاعوا أن يصوروا من خلالها حالة المجتمع القائم على مبدأ الخلط والتعدد، ونبت النقاء، ليصبح كل شيء هجين. وقد مثلت رواية جلسات الشمس للكاتب بومدين جلاي إحدى الروايات الجزائرية التي تداخلت فيها مختلف الأنواع الأدبية وغير الأدبية.

7. هوامش:

⁵ .خيري الذهبي: الفنون والأساطير في الرواية العربية، ص188.

⁶ .المرجع نفسه.

⁷ .محمد صالح الشنطي: تداخل الأنواع الأدبية في الرواية

الأردنية، مؤتمر تداخل الأنواع الأدبية، مج2، ص451.

⁸ .المرجع نفسه.

⁹ جلاي بومدين، 2012، جلسات الشمس، دار الحمراء، سيدي

بلعباس، الجزائر، ص13.

ويقول في موضع آخر: "فرايت بعيني وسمعت بأذني جوقة تشريفية بلباس أبيض وأخضر، وهي تعزف وتندشد "قسما بالنازلات الماحقات..."⁴⁷

• الرسم:

فن الرسم أصعب أنواع الفنون لأنه تعبير صامت عن أشياء صارخة، وتسليط الضوء على الزوايا المعتمدة في الواقع وبحث متواصل للكشف عن تفاصيل غير مرئية استدلت الأيام والسنين والأحداث الستار عليها. والرسام يتتهج حين تتعدد الرؤى والقراءة لتفاصيل عمله الإبداعي ويرفض الإفصاح عن أسرار وأهداف عمله الإبداعي، لأن مهنته كرسام صناعة الألبان للفوز بالحلول المتعددة التي يقدمها الجمهور. فمسعاه الأساس إبراز الأبعاد الخفية للواقع التي تكون غير مرئية للناظر. فقد يركز الرسام على عمق الحزن في الوجه أو أبعاد السعادة أو آثار الزمن الناخرة لمساحة الوجه أو الجمال الكامن في المساحات غير الظاهرة من الجسد. إنه يسعى لفك ألغاز وأبجدية تفاصيل الواقع غير المرئي لجعلها تفاصيل مرئية تحفز أحاسيس ومشاعر الناظر على قراءة تفاصيل الجمال الحقيقية للواقع غير المرئي.⁴⁸ ولعل الكاتب في روايته يريد حلولا لهذه الألغاز التي تبعث على التأمل كثيرا، وعلى السخرية من هذه الأبعاد الخفية، يقول على لسان الشمس: -لعله رسم اسمي على

¹ . سورة الأنفال، آية 31.

² . عبد المنعم زكريا القاضي ، 2009 البنية السردية في الرواية،

عين للدراسات والبحوث، الكويت، ط1، ص215.

³ . رابع العوي: أنواع النثر الشعبي، منشورات باجي مختار،

عناية، (دط، دس)، ص19، 20.

⁴ .المرجع نفسه، ص20.

³¹ . كريمة حجازي ، 2008، صورة المجتمع في الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الموضوعات والخصائص، رسالة ماجستير، باتنة ،، ص7.

³² . المرجع نفسه، ص8.

³³ . الرواية، ص62.

³⁴ . المصدر نفسه، ص76.

³⁵ . الرواية، ص81.

³⁶ . الرواية، ص76.

³⁷ . عماد علي سليم الخطيبف، 2009 في الأدب الحديث ونقده، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1، ص140.

³⁸ . المرجع نفسه.

³⁹ . المرجع نفسه.

⁴⁰ . الرواية، ص57.

⁴¹ . المصدر نفسه، ص57.

⁴² www.alyaum.com/article/3107684

⁴³ . الرواية، ص17.

⁴⁴ . الرواية، ص18.

⁴⁵ ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

⁴⁶ . الرواية، ص70.

⁴⁷ . الرواية، ص71.

⁴⁸ <https://ar.wikipedia.org>

⁴⁹ . الرواية، ص12.

¹⁰ من قلم : انور مالك، شيعة الجزائر: موسم الحج إلى ضريح خالد بن سنان العبسي

¹¹ ويكيبيديا العربية

¹² . الرواية، ص12.

¹³ ويكيبيديا العربية

¹⁴ . الرواية، ص12.

¹⁵ . المصدر نفسه، ص12.

¹⁶ احمد صبيحي منصور، لماذا قتلت "الخيزران" ابنا الخليفة الهادي العباسي؟! يوم 23 جوان 2011 على الرابط:

<http://www.civicegypt.org>

¹⁷ . المرجع نفسه.

¹⁸ احمد صبيحي منصور، لماذا قتلت "الخيزران" ابنا الخليفة الهادي العباسي؟! يوم 23 جوان 2011 على الرابط:

<http://www.civicegypt.org>

¹⁹ . الرواية، ص13.

²⁰ احمد صبيحي منصور، لماذا قتلت "الخيزران" ابنا الخليفة الهادي العباسي؟! يوم 23 جوان 2011 على الرابط:

<http://www.civicegypt.org>

²¹ . الرواية، ص13

²² . الرواية، ص14.

²³ . الرواية، ص14.

²⁴ . الرواية، ص14.

²⁵ . الرواية، ص14.

²⁶ . سورة النور، آية 35.

²⁷ . محمد بوزواوي ، 1988 معجم المصطلحات الأدبية، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر، (دط، دس)، ص255.

²⁸ . محمد توفيق بوعلي : الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفاس، لبنان، ط1، ص 36.

²⁹ . سيد البحراوي ، 2003 الأنواع النثرية في الأدب العربي

المعاصر أجيال وملاحم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (دط)، ص44.

³⁰ . المرجع نفسه.